

اتفاقيات إيفيان

1962 من خلال شهادة الرئيس بن يوسف بن خدة

د. صحراوي عبد القادر

جامعة سيدي بلعباس

Abstract:

Evian agreements in 1962 is considered a victory for Algeria and Algerians, and a symbol of historically important, because of the cease-fire was approved, and an attempt to end a bloody colonial war Nahzat seven and a half years.

There is no doubt that the length and difficulty of the negotiations, the successive setbacks ever known, suggest the seriousness of finding a solution to the Algerian issue, The French sought to impose a solution for about million Europeans living on the land of Algeria, not to mention the issue of protection of economic and military interests, but talks and negotiations, which ended with the signing of the agreements, but the purpose which put an end to the crisis as long as several years, a crisis that colonial authorities were unable to be solved militarily.

Keywords:

Evian agreements – Colonial war – Negotiations – Immigration- Central Committee.

تعتبر اتفاقيات إيفيان 1962 نصرا للجزائر والجزائريين، ورمزا تاريخيا مهما، بفعل وقف إطلاق النار الذي أقرته ، ومحاولة لإنهاء حرب استعمارية دموية ناهزت السبع سنوات ونصف. ولا شك أن طول وصعوبة المفاوضات، والانتكاسات المتتالية التي عرفتھا، توجي بخطورة إيجاد حل للقضية الجزائرية، فالفرنسيون سعوا إلى فرض حل لحوالي مليون أوروبي يعيشون على أرض الجزائر، ناهيك عن مسألة حماية مصالحهم الاقتصادية والعسكرية ولكن المحادثات والمفاوضات التي انتهت بتوقيع الاتفاقيات، إنما كان الغرض منها وضع حد لأزمة دامت عدة سنوات، وهي الأزمة التي لم تتمكن السلطات الاستعمارية من حلها عسكريا. وبحكم معاشة الرئيس بن يوسف بن خدة لمختلف مراحل المفاوضات الجزائرية الفرنسية التي توجت بتوقيع الاتفاقيات، ارتأينا البحث في شهادته التاريخية وتقييمه التاريخي والسياسي لها.

1. السيرة الذاتية للرئيس بن يوسف بن خدة:

ولد الرئيس بن يوسف بن خدة بالبرواقية، في ولاية المدية الحالية يوم 23 فيفري 1920، كان والده قاضيا، ودرس في المدرسة القرآنية كسائر الجزائريين في تلك الفترة، قبل أن يلتحق بالثانوية الاستعمارية المعروفة حاليا بابن رشد في مدينة البليدة، وفيها تعرف على زميله سعد دحلب، الذي ينتمي إلى نفس الدفعة⁽¹⁾.

وعلى إثر نجاحه في البكالوريا التحق بكلية الطب والصيدلة بجامعة الجزائر في سنة 1943، ومنها تخرج صيدليا. ولم تثنه الدراسة عن النضال السياسي من أجل الجزائر، إذ انخرط في حزب الشعب 1942، قبل أن يلقى عليه القبض في السنة الموالية، ويعذب تعذبا شديدا، حيث اتهمه المستعمرون بالتحريض على عدم مكافحة الألمان، ثم أطلق سراحه بعد ثمانية أشهر في السجن.

وتمكن بن يوسف بن خدة من الإرتقاء إلى عضوية اللجنة المركزية لحزب الشعب حركة انتصار الحريات الديمقراطية في سنة 1947، ثم أمينها العام من 1951 إلى 1954. وفي شهر نوفمبر 1954 أُلقي عليه القبض ليطلق

سراحه في ماي 1954، ليلتحق مباشرة بجهة التحرير الوطني، ثم عمل مستشارا أو معاوننا لعبان رمضان بالجزائر العاصمة. وفي شهر أوت 1956. عيه المؤتمرين في الصومام عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن هذا المؤتمر.

وغادر الجزائر العاصمة بعد استشهاد العربي بن مهيدي على أيدي رجال بيجار الفرنسي إلى الخارج، حيث زار عدة مناطق في العالم من بينها بعض الدول العربية ما بين 1957 و 1958، وأمريكا اللاتينية في 1960 والصين وانجلترا وغيرها. ثم عين رئيسا لحكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة في شهر أوت 1961، وتمكن من إنهاء المفاوضات مع فرنسا التي شرع فيها سلفه فرحات عباس، كما أعلن عن وقف إطلاق النار عشية 19 مارس 1962. وتسببت أزمة صائفة جوان 1962، بين هيئة أركان الجيش والحكومة المؤقتة في انسحابه حقنا لدماء الجزائريين، واستمر على نهجه الوطني بعد الاستقلال، خاصة بعد تأسيسه لحركة الأمة، ثم التضامن للتنديد بخرق حقوق الجزائريين في 1992، لما وفاة الرئيس بن خدة فكانت في 4 فبراير 2003⁽²⁾.

2. سير المفاوضات الجزائرية الفرنسية أو قصة المفاوضات حسب الرئيس

بن خدة:

مثلت قضية السيادة على الصحراء أساس الخلاف بين المفاوضين الجزائريين والفرنسيين منذ الإتصالات الأولى، وفي لقاء مولان (Melun) في جوان 1960، وهي القضية التي تسببت في فشل اللقاءين المواليين في إيفيان خلال الفترة الممتدة من 20 مارس إلى 13 جوان 1961، ولوگران (Lugrin) من 20 إلى 28 جويلية 1961، على الرغم من دور الوساطة المهم الذي قام به أوليفي لانغ « Olivier Long » الدبلوماسي السويسري بمعية الطيب

بولحروف ممثل جبهة التحرير الوطني في مدينة روما الإيطالية. لقد أوضح الوفد الجزائري المفاوض استعداداه لمناقشة تنازلات اقتصادية، وفي الوقت نفسه بين أنه لن يقبل بغير السيادة على الصحراء، وعلى العكس من ذلك أصرت فرنسا على عزل شمال الجزائر عن الصحراء واستغلال المحروقات المكتشفة في 1956، واستمرار التجارب النووية الفرنسية فيها. وكان رد فعل حكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة دعوة الجزائريين إلى مظاهرات مناهضة للتقسيم في 5 جويلية 1961⁽³⁾.

ودارت خلافات الوفدين المفاوضين حول وضع الأوروبيين بعد استقلال الجزائر، وكذا القواعد العسكرية، وقد أكد أحمد فرنسيس وهو أحد المفاوضين الجزائريين على صلابة موقف رئيس الوفد المفاوض كريم بلقاسم في مواجهة لوي جوكس الفرنسي، وفي هذا السياق يقول كريم بلقاسم: "من حق الأوروبيين ربط مصيرهم بالأمة الجزائرية بل والذوبان فيها، أما الذين يرفضون الجنسية، فبإمكانهم البقاء والعمل لكن بدون قانون خاص"⁽⁴⁾.

وجاء هذا الموقف ضد ما كان يطمح إليه الجانب الفرنسي الساعي إلى تحويل الأوروبيين إلى أقلية محمية وذات امتيازات خاصة، ونفس الأمر صار عليه المفاوضون الجزائريون بخصوص القواعد العسكرية، التي حاولت فرنسا جعلها كجيوب استعمارية، أي أن الجزائريين قبلوا باستغلالها لكن بشروط واضحة وخلال اللقاءات التمهيدية للمفاوضات ذكر جورج بومبيدو، وهو رئيس فرنسا مستقبلا أن قاعدة المرسى الكبير بوهران في الغرب الجزائري هي بمثابة جبل طارق بالنسبة لإنجلترا⁽⁵⁾. وبرزت خلافات سياسية حادة حول وقف إطلاق النار وإجراء الاستفتاء، ولهما يكون سابقا للآخر، فحكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة (GPRA) رأت أن الإتفاقيات يجب أن

تسبق بقية فترات مسار السلم، في الوقت الذي تخوفت فيه السلطات الفرنسية على مصالحها العسكرية والاقتصادية ومصير مواطنيها، ومن هنا كان التردد سيد الموقف⁽⁶⁾.

عرفت المفاوضات بين الطرفين اتخاذ إجراءات حاسمة أحيانا، واتباع مناورات سياسية في أحيان أخرى، لكن من دون كشف كل الأوراق التفاوضية للطرفين. وهكذا دعا لوي جوكس الحركة الوطنية الجزائرية المصالية إلى المفاوضات في 30 مارس 1961، وهو استفزاز واضح لوفد الحكومة المؤقتة، ومناورة فرنسية فاشلة. ثم صاحب المفاوضات الإفراج عن 6000 معتقل جزائري ونقل الزعماء الخمسة وهم بن بلة، وآيت أحمد، وبوضياف وخيدر، وببساط إلى قصر توركان (Turquant)، ثم تحرير مصطفى الأشرف ووقف العمليات العسكرية في الجزائر، باستثناء قيام أجهزة الأمن بملاحقة المسؤولين عن العمليات العسكرية⁽⁷⁾. وامتدت المفاوضات إلى غاية 12 أوت 1961 إثر فشل محادثات لوگران (Lugrin)، وحتى لا تقع حكومة الجمهورية المؤقتة ضحية للتسرع، لم ترد على هذه الإجراءات ولوأنها اعتبرت ذلك بادرة سياسية إيجابية من طرف فرنسا⁽⁸⁾.

ولا شك أن الأحداث التي جرت في مدينة بنزرت التونسية في 6 جويلية 1961 وقيام فرنسا بقتل الكثير من التونسيين المطالبين بتحرير القاعدة قد أوى إلى اتخاذ الجزائريين الحذر والحيلة فيما يتعلق بسير المفاوضات مع الجانب الفرنسي. وضمن هذا السياق نشير إلى رفض هيئة أركان الجيش التي يرأسها العقيد هواري بومدين منذ 1960، التنازلات وطلب لجنة التنسيق والتنفيذ إشراكها في المفاوضات. وتلى ذلك اجتماع طرابلس لقيادة الثورة الجزائرية من 9 إلى 27 أوت 1961، وهو الاجتماع الذي شهد بروز خلافات كثيرة وعزل للرئيس فرحات عباس، الذي عوض بالرئيس بن يوسف بن خدة

الذي شغل منصب وزير المالية بدل أحمد فرنيس، وعرفت الحكومة الجديدة تعيين سعد دحلب على رأس وزارة الخارجية معوضا كريم بلقاسم الذي أصبح وزيرا للداخلية، إضافة إلى وزراء دولة وهم على التوالي: لخضر بن طوبال، ومحمد خيدر وراج بيطاط، وحافظ بوصوف على وزارة التسليح والاتصالات العلهمة، أي استمراره في تسيير المصالح الأمنية والمخابراتية. وعن أحمد يزيد وزيرا للإعلام، وبقي كريم بلقاسم ومحمد بوضياف وأحمد بن بلة نوابا لبن خدة. ورأت فرنسا أن هذا التغيير يعز عن تصلب في الموقف الجزائري، فقد نعت الرئيس بن خدة بالماركسي، خاصة بعد توالي زيارة المسؤولين الجزائريين للصين الشعبية⁽⁹⁾.

ويوحي اختيار أفراد الحكومة المؤقتة برئاسة بن يوسف بن خدة بأولوية العمل السياسي على العسكري، وهو الهاجس الذي ظل يؤرق المسؤولين الجزائريين في مؤتمر الصومام في 1956. ففي الوقت الذي سعت هذه الحكومة إلى الحل السياسي مع الطرف الفرنسي، عملت هيئة أركان الجيش الجزائري من أجل السيطرة على السلطة، ولم تشن جرائم الجيش السري (OAS) في الجزائر وبقيّة الأحداث الخطيرة التي عرفتها المفاوضات من الجانبين على التوصل إلى اتفاق. ومما أكد هذا التوجه اعتراف دوغول بالسيادة الجزائرية على الصحراء، واتفاق الطرفين على وقف إطلاق النار، ثم تسيير المرحلة الانتقالية وإجراء استفتاء تقرير المصير⁽¹⁰⁾. ويوضح رضا مالك وهو الناطق الرسمي للوفد المفاوض وأحد المفاعلين فيه أن المرحلة التي سبقت مفاوضات إيفيان الثانية في مارس 1962، قد ميزتها السرية التامة من الجانبين الجزائري والفرنسي، وحضر لهذه المرحلة النهائية شخصيات بارزة منها محمد الصديق بن يحي ورضا مالك إلى جانب كلود شايلى « Claude Chaylet » مستشار لوي جوكس، وبرونو دي لوس « Bruno de

« Leusse » مدير القضايا السياسية في وزارة الشؤون الجزائرية، ولوي جوكس نفسه. وجاء لقاء لي روس من 11 إلى 18 فيفري 1962 ليضع أسس اتفاقيات إيفيان، وضم الوفد الجزائري يومها كريم بلقاسم رئيسا، وعضوية كلا من سعد دحلب، وامحمد يزيد ولخضر بن طوبال، أما الوفد الفرنسي فتكون من لوي جوكس، وروبرت بيرون « Robert Buron » وزير الأشغال العمومية، وجان دي بروغلي « Jean de Broglie » وهو المندوب الفرنسي المكلف بالصحراء. ولا ريب أن سويسرا قامت بدور رئيسي في نجاح المفاوضات التي احتضنتها مدينة إيفيان الفرنسية، ولم يكن أمام الوفد الجزائري المقيم بها سوى قطع بحيرة ليमान

(Lac Leman) للإلتحاق بمقر إقامته السويسرية في حال بقيت طائرة الوفد الجزائري جاثمة بسبب ظروف مناخية غير مواتية⁽¹¹⁾.

وتنقسم اتفاقيات إيفيان إلى ثلاثة أقسام، يتمثل الأول في شروط وضمانات تقرير المصير، ويشمل تنظيم الاستفتاء وتكوين الهيئات التنفيذية المؤقتة المسيرة لوقف إطلاق النار والانتخاب، والعفو الذي يشمل تحرير المعتقلين والموقوفين. أما القسم الثاني فيتمحور حول إعلان المبادئ الذي يدور حول المواطنين الفرنسيين في الجزائر، واستغلال الثروات الصحراوية واستمرار الوجود العسكري الفرنسي بالجزائر، إلى جانب التعاون الاقتصادي والمالي والثقافي والتقني بين الطرفين الجزائري والفرنسي. وتضمن الجزائر من جانبها المصالح الفرنسية المتمثلة في أولوية البحث والتنقيب عن الثروات، واستئجار قاعدة المرسى الكبير لمدة خمسة عشر سنة، واستغلال المحطات النووية لمدة خمس سنوات، كما تتعهد فرنسا بتحديد عدد أفراد جنودها بالجزائر إلى ثمانين ألفا بعد مرور سنة من استفتاء تقرير المصير⁽¹²⁾.

3. قراءة الرئيس بن يوسف بن خدة لاتفاقيات إيفيان 1962:

يعتبر الرئيس بن يوسف بن خدة اتفاقيات إيفيان نتيجة حتمية لمفاوضات طويلة وشاقة، ويؤكد أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، بذلت أقصى المجهودات لتحقيق الأهداف الأساسية التي حددها الفاتح نوفمبر 1954 وارساؤها على مائدة المفاوضات، سعيا إلى أن تكون نتائج إيفيان مساوية لتضحيات الشعب الجزائري. ويشير إلى أن الذين انتقدوا هذه الاتفاقيات لا يملكون دليلا قانونيا يوجي بأنها كانت تنازلا لا رجوع فيه، ذلك أن المبادئ سليمة. ويقول في نفس السياق: "إن قوة الثورة الجزائرية لا تتمثل في إرغام الفرنسيين على التفاوض فحسب، بل لأنها أبدعت على مر السنين روحا وسلوكا خاصين بها، كانا أساس انتصار إيفيان"⁽¹³⁾.

ولا شك أن الرئيس بن خدة مدرك لعظمة وأصالة الثورة الجزائرية وهو رئيس حكومتها، الأمر الذي جعلها محل ثقة من الطرف الفرنسي المفاوض بصورة مباشرة ودون تدخل طرف ثالث. فجبهة التحرير الوطني بصفتها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الجزائري، تمتعت باستقلالية كبيرة منذ تأسيسها، وأعلمت الأصدقاء والجيران على استقلال قراراتها. ويرى الرئيس بن خدة أن تطبيق اتفاقيات إيفيان في 19 مارس 1962، هو في واقع الأمر وضع حد لحرب دامت سبع سنوات ونصف، وعبت الطريق أمام الجزائر واسترجاع سيادتها⁽¹⁴⁾.

ويوضح الرئيس بن خدة كذلك أن الحكومة المؤقتة أكدت على أن جميع الاتصالات والمفاوضات التي سبقت توقيع الاتفاقيات، يجب أن تلتزم بمبادئ أساسية هي: الوحدة الترابية، ووحدة الأمة الجزائرية، والسيادة الوطنية والاعتراف بجبهة التحرير الوطني ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الجزائري. وبحكم نجاح الوفد الجزائري المفاوض في الحفاظ على هذه

المبادئ، اعتبر الرئيس بن خدة اتفاقيات إيفيان انتصارا عظيما، وهو الانتصار الذي حقق الاستقلال والوحدة الترابية، وهي أمور لم تتحقق في إيرلندا الشمالية والفييتنام في ذلك الوقت، إلى جانب كوبا التي ما زالت الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على أجزاء من أراضيها⁽¹⁵⁾.

وتبرز الاتفاقيات حب الرئيس بن خدة النتائج التالية:

- كون الصحراء جزائرية رغم إصرار دوغول على فصلها، وبالتالي زال شبح تقسيم البلاد.
 - استرجاع السيادة الوطنية، واستقلالية السياسة الجزائرية وقراراتها بعد فترة طويلة من الاحتلال.
 - انسحاب الجيوش الفرنسية بعد مرور بضع سنوات من الاستقلال.
 - ترك الأوروبيين للجزائر بمجرد إعلان الاستقلال، وزوال حلم دوغول بمنحهم الجنسية المزدوجة الجزائرية والفرنسية⁽¹⁶⁾.
- ولقد أمت الحكومة المؤقتة دورها السياسي التفاوضي بشكل دقيق، فهي لم تغفل الكفاح المسلح في داخل الجزائر، وتركت المجال مفتوحا للتفاوض، وإنهاء الحرب في الجزائر. أما بخصوص الوفد المفاوض برئاسة كريم بلقاسم، فالتاريخ سيشهد على الدور الواعي والمسؤول للمفاوضين، الذين تمكنوا من الملائمة بين الصرامة والواقعية، والتعبير عن جيش التحرير وجهة التحرير الوطني الممثلين في المجلس الوطني للثورة الجزائرية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية⁽¹⁷⁾. ومما يوحي بأهمية اتفاقيات إيفيان، ذلك الدعم والتأييد اللامتناهي الذي لقيته الحكومة المؤقتة برئاسة بن خدة، فقد أثنى زعماء عالميون على نجاحات الوفد الجزائري المفاوض، وصدر ذلك عن الرئيس اليوغسلافي جوزيب بروز تيتو، والكوبي فيدال كاسترو والوزير الأول الصيني شوان لاي⁽¹⁸⁾.

وعلى الرغم مما قيل حول اتفاقيات إيفيان، ومنها أن فرنسا حاولت انتزاع أكبر قدر من المكاسب السياسية والاقتصادية، إلا أن الوفد الجزائري المفاوض حقق أمرين مهمين للجزائر، وهما الاستقلال التام والحفاظ على الوحدة الترابية أي عدم فصل الصحراء عن التل، علما بأن قضية الصحراء تسببت في تعطيل المفاوضات في العديد من اللقاءات بين الوفدين المتفاوضين. وهكذا فإن لأكوست الفرنسي يذكر أن الجميع كانوا أغبياء باستثناء جبهة التحرير الوطني التي كانت تعرف بدقة ما تريد الوصول إليه منذ الشروع بالمفاوضات، وبقيت ثابتة على مواقفها، في الوقت الذي كانت فيه الحكومات الفرنسية المتعاقبة متذبذبة بين منح الجزائر حكما ذاتيا، أو فصل الصحراء عن شمال البلاد، والقيام بإصلاحات داخلية⁽¹⁹⁾.

إن اتفاقيات إيفيان عبارة عن عمل تاريخي وسياسي مثالي مكن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من تسوية النزاع مع الطرف الفرنسي، عن طريق المفاوضات من دون التخلي عن المبادئ الأساسية للشعب الجزائري خاصة ما يتعلق بالوحدة الترابية ووحدة الأمة، وتحقيق أهداف سياسية وضعت كأسس لنشاط الحركة الوطنية الجزائرية وثورة 1954، ويتعلق الأمر بتحرير الجزائر واستقلالها.

الإحالات:

- ¹ بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف ، دار النعمان، الجزائر، 2004، ص382؛ يور الدين حاروش، مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية، قراءة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الأمانة، الجزائر، 2011، ص 92، 93، 98.
- ² بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص 390-391؛ رضا مالك، الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ترجمة فارس غصوب، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2003، ص 366-367.
- ³ Sylvie(Thénault), Histoire de la guerre d'indépendance algérienne, Paris, Flammarion, 2012, p.273.
- ⁴ Malek (Rédha), L'Algérie à Evian , histoire des négociations secrètes 1956-1962, Paris, Ed. Du seuil, 1995, p.141.
- ⁵ Ibid, p94.
- ⁶ Thénault (Sylvie), op.cit, pp. 274-275.
- ⁷ Morin (ean), De Gaulle et l'Algérie, Paris, Albin Michel, 1999, pp.152-153.
- ⁸ Thénault (Sylvie), op.cit, pp. 275.
- ⁹ Meynier (Gilbert), Histoire intérieure du FLN (1954-1962), Paris, Fayard, 2002, pp.372-375, 614, 626 ;
- بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر، اتفاقيات إيفيان، تعريب زغدار ومخل العين جبائي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص54.
- ¹⁰ Thénault (Sylvie), op.cit. p.277.
- ¹¹ Malek (Réda), op.cit, p.119.
- ¹² Thénault (Sylvie), op.cit. p.279.
- ¹³ بن يوسف بن خدة، المرجع السابق، ص 10.
- ¹⁴ نفسه، ص 11.
- ¹⁵ بن يوسف بن خدة، شهادات.....، المرجع السابق، ص 148.
- ¹⁶ نفسه، ص155.
- ¹⁷ نفسه، ص142.
- ¹⁸ بن يوسف بن خدة، نهاية حرب التحرير في الجزائر.....، المرجع السابق، ص 40.
- ¹⁹ نور الدين حاروش، المرجع السابق، ص 352، 353.